وقلت انا فيه

حقه علينا ان نقوم بشكر من
اجرى لنا نيل المنى طهورا
حتى دونه منه شاع بلادنا
دوباوم يلحقها منه ظهيرا
جبر الانام بلطف متهلل
ذاك الكريم فهل يكون نظيرا
فانظر صنائعه بخير قلوبنا
ميلا عنه الاحرام وهو صغير

الباب الثاني في حب الخمول

وهو حب السلامة بعطف عزم صاحبه عن اكتساب المعالي ويزكو المرء بالكسل واحسن ما قيل فيه قول الصمة بن عبد الله القشيري من الحماسة

حننت الى ريا ونفسك باعدت   مزارك من ريا وشعباكما معا

ولعمري ان السلامة في الخمول خير من العطب في المعالي فما يبقي الوصل بالصدود وقال الشاعر

ان قد حقق الخمول نبهت قوما   غفلا عنه سايسوقني اليه
هو هو قد دلني على لذة العيش فعالي ادل غيري عليه

وقال ابو العلا المعري

ولو جرت النباهة في طريق الخمول لاحترق الخمولا

وقد رضي بالخمول جماعة من الرؤساء الاكابر المتقدمين في العلم والمنصب وفارقوا مناصبهم واخلوا الدروس من تصديرهم منهم مجد الدين ابو السعادات المبارك بن الاثير صاحب جامع الاصول والنهاية في الحديث وغيرها اتصل بعد خدم كثير بخدمة عز الدين بن مودود صاحب الموصل وتولى ديوان رسائله الى ان مات ثم خدم نور الدين

ارصلانه

ارصلان شاه واختل عنه وتوفرت حرمته لديه فلم يترك كذلك الى ان عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة بالكلية مطلقا فانقطع في داره وكانت الاكابر يغشونه ويترددون عليه فقصد اليه من الروم له ببلاد حد واقامته مما مرضه فلما طلب مداراة اليه واشرف على الصحة دفع اليه ذهبا وقال امض ترى سبيلك فلاموه على ذلك فقال الخواص حتى عوفيت طلبت والزمت بالخدمة وكذا احب الي فانني نوقت على نفسي ومطالعة ما اختاره من العلوم وانا ممن عرى الجانب عندهم لاشاركهم في سلطانهم ولا ادخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم والرزق لابد منه انتهى بلفظه فاختار رحمه الله الخمول الجليل من كثر الافاق العطلة مع عظمة جسمه مع المنصب وحاله فوق همم المنصب روح ولو على الجملة وفي تلك الحالة صنف جامع الاصول المشهور وغيره رحمه الله تعالى عليه ومنهم ابن طلحة كان وزير الملك الناصر الصغير وله عمل كتاب العقد وله الدائرة المعروفة بين ارباب هذا الشأن وله الحجة القاصمة في الرد على الفلاسفة ترك منصب الوزير وطرح الدنيا خلفه واقتدى بمن سلفه في تركهم الدنيا وتطليقهم اياها ثلاثا واقتفى اثرهم في ترك المراتب العلية والرضا بالعيشة المرضية والميل للديار الاخروية وقطع العلاقة عن الدنيا الدنية اذ هي عدوة لله واوليائه واعدائه كما هو مفصل في شرح الهمزية اذ بها [illegible] فقيرا ومن هوى اليها بالله متخذا وسلك مسالك الزهد والوله الى ان مات رحمه الله تعالى عليه ومنهم الحسن ابن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما قال لمعاوية بن سفيان لما صالحه الفريقان [illegible] امر اهل هذا العالم او هذا العالم وكلهم على الحق [illegible] الامارة شيء ان علي [illegible] وانتم في حل من الخلافة فاوفوا دينه وتركتم الخلافة وهو فعل الجماعة من الاعيان لا يمكن حصرهم

Copyright © King Saud University